# زهر البساتين
# في
# مواقف العلماء والربانيين

# فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

**[١] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وزبدة رسالات النبيين والمرسلين:**

❑ قال أبو حامد الغزالي ـ رحمه اللَّه ـ: «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القُطب الأعظم في الدين، وهو المُهمّ الذي ابتعث اللَّه له النبيين أجمعين، ولو طوي بساطه وأُهمل عمله، لتعطَّلت النبوة واضمحلت الديانة، وعمَّت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتَّسع الخرق، وخربت البلاد وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التَّناد، وقد كان الذي خفنا أن يكون، فإنا للَّه وإنا إليه راجعون، إذ قد اندرس من هذا القُطب عَمَلُه وعِلمُه، وامحق بالكلية حقيقتُه ورسمه، فاستولت على القلوب مداهنة الخلق، وامحت عنها مراقبة الخالق، واسترسل الناس في اتِّباع الهوى والشهوات استرسال البهائم، وعزّ على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في اللَّه لومةُ لائم، فمن سعى في تلافي هذه الفترة وسَدِّ هذه الثُّلمة؛ إمَّا متكفِّلاً بعملها، أو متقلّداً لتنفيذها، مجدِّدًا لهذه السُّنَّة الدَّاثرة، ناهضًا بأعبائها، ومتشمرًا في إحيائها ـ كان مُستأثرًا من بين الخلق بإحياء سُنَّة أفضى الزمان إلى إماتتها، ومستبدًّا بقُربةٍ تتضاءل درجات القُرب دون ذروتها»[(١)].

❑ وقال القاضي أبو بكر بن العربي: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باب عظيم هو ابتداء الدين والإسلام، وهو أيضًا انتهاؤه»[(٢)].

❑ وقال القرطبي: «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كانا واجبيْن في

(١) «إحياء علوم الدين» (٢/ ٣٣٣).

(٢) «أحكام القرآن» لابن العربي (١/ ٣٩٤).

الأمم المتقدمة وهو فائدة الرسالة وخلافة النبوة»[١].

* قال تعالى عن أنبيائه: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

❑ وقال العلامة محمد رشيد رضا: «وقد جرت سنة الأنبياء والمرسلين والسلف الصالحين على الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن كان محفوفًا بالمكاره والمخاوف»[٢].

❑ وقال الشوكاني: «هو من أعظم واجبات الشريعة وأصل عظيم من أصولها، وركن مشيد من أركانها، وبه يكمل نظامها ويرتفع سنامها»[٣].

❑ وقال الرازي: «رأس المعروف الإيمان باللَّه، ورأس المنكر الكفر باللَّه، والجهاد يوجب الترغيب في الإيمان والزجر عن الكفر، والجهاد داخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[٤].

❑ وقال السرخسي: «وقد سمى رسول اللَّه ﷺ الجهاد سنام الدين، وفيه أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وهو صفة هذه الأمة وفيه تعرّض لأعلى الدرجات وهو الشهادة»[٥].

❑ وقال الإمام الشاطبي في «الموافقات»: «الجهاد الذي شُرع بالمدينة فرع من فروع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو مقرر بمكة»[٦].

---

(١) «تفسير القرطبي» (٤/ ٧٤).
(٢) «تفسير المنار» (٤/ ٣٢).
(٣) «فتح القدير» للشوكاني (١/ ٣٣٧).
(٤) «مفاتيح الغيب» للرازي (٤/ ٥٢١).
(٥) «شرح السير الكبير» (١/ ١٩ ـ ٢٠).
(٦) «الموافقات» للشاطبي (٣/ ٥٠).

«اعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضُيِّع أكثره من أزمان مُتطاولة، ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسومٌ قليلةٌ جدًّا ، وهو بابٌ عظيمٌ به قوام الأمر وملاكهُ، وإذا كثر الخبث عمَّ العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم اللَّه تعالى بعقابه ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

فينبغي لطالب الآخرة، والساعي في تحصيل رضا اللَّه عز وجل أن يعتني بهذا الباب؛ فإن نفعهُ عظيمٌ لا سيما وقد ذهب معظمهُ، وعلى الآمر بالمعروف أن يُخلصَ نيته ولا يهابنَّ من ينكر عليه لارتفاع مرتبته لأن اللَّه تعالى قال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢-٣]، واعلم أن الأجر على قدر النصب ولا يتركهُ أيضًا لصداقته ومودَّته ومُداهنته وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه، فإن صداقته ومودته توجب له حرمةً وحقًّا، ومن حقِّه أن ينصحهُ ويهديه إلى مصالح آخرته، وينقذه من مضارِّها، وصديق الإنسان، ومحبُّه هو من سعى في عمارة آخرته وإن أدَّى ذلك إلى نقصٍ في دنياه، وعدوُّه من يسعى في ذهابِ أو نقص آخرته، وإن حصل بسبب ذلك صورةَ نفعٍ في دنياه. وإنما كان إبليس عدوًّا لنا لهذا، وكانت الأنبياءُ ـ صلواتُ اللَّه وسلامه عليهم أجمعين ـ أولياء للمؤمنين لسعيهم في مصالح آخرتهم وهدايتهم إليها، ونسأل اللَّه الكريم توفيقنا وتوفيق أحبابنا وسائر المسلمين لمرضاته. وينبغي للآمرِ بالمعروف والنَّاهي عن المنكر أن يرفق ليكون أقرب إلى تحصيل المطلوب، فقد قال الإمام الشافعيُّ ـ رحمه اللَّه ـ:

«من وعظ أخاهُ سرًّا فقد نصحهُ وزانهُ، ومن وعظهُ علانيةً فقد فضحهُ وشانَهُ»[١].

**[٢] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أخص أوصاف النبي ﷺ في التوراة والإنجيل:**

❑ قال ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ: «هذه صفة الرسول ﷺ في الكتب المتقدمة وهكذا كانت حاله عليه السلام».

* قال تعالى عن خليله محمد ﷺ: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ...**﴾ الآية [الأعراف: ١٥٧]، فكان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أول أوصافه.

**[٣] وهو أظهر صفات أولي العزم والكُمّل من المؤمنين وأبرز سماتهم:**

أولئك الذين اقتفوا هدى رسول اللَّه ﷺ وجعلوه أسوتهم
ومن تكن برسول اللَّه أسوته كانت خلائقه روحًا وريحانًا

* قال تعالى فيهم: ﴿**التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [التوبة: ١١٢] هذه صفة جليلة تتجاوز صلاح الذات إلى إصلاح العباد والحياة، وحفظ لحدود اللَّه يردّ عنها العادين والمُضيّعين ويصونوها من التهجم والانتهاك.

❑ قال ابن كثير: «ينفعون خلق اللَّه، ويرشدونهم إلى طاعة اللَّه بأمرهم

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٢/ ٢٤).

بالمعروف ونهيهم عن المنكر مع العلم بما ينبغي فعله ويجب تركه، وهو حفظ حدود الله في تحليله وتحريمه علمًا وعملاً، فقاموا بعبادة الحق ونصح الخلق، ولهذا قال: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لأن الإيمان يشمل هذا كله، والسعادة كل السعادة لمن اتصف به»[1].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يصبر عليه إلا أولو العزم من الرجال.

* قال تعالى في وصية لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

❑ قال الألوسي: «﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ تكميلاً لنفسك، ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ تكميلاً لغيرك»[2].

❑ وقال الرازي: «إذا أكملت نفسك بعبادة فكمِّل غيرك، فإن شغل الأنبياء وورثتهم من العلماء هو أن يكملوا في أنفسهم ويكمّلوا غيرهم»[3].

* وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

* وقال تعالى عن مؤمني أهل الكتاب الذين تابعوا النبي ﷺ: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣-١١٥].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٩٢).

(٢) «روح المعاني» للألوسي (٢١/ ٨٩).

(٣) «مفاتيح الغيب» للرازي (٦/ ٥٧٨).

صورة وضيئة تُرفع أمام الراغبين في هذه الشهادة، وفي هذا الوعد، ليحققها في ذات نفسه كل من يشتاق إلى نورها الوضيء في أفقها المنير.

## [٤] منزلة الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر تلي مرتبة الأنبياء عند الله:

* قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١].

استنبط الحسن ـ رحمه الله ـ أن في الآية دلالة على أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر تلي منزلته عند الله منزلة الأنبياء فلهذا ذكرهم عقيبهم[١].

## [٥] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مناط خيرية هذه الأمة وأهم خصائصها:

* قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

❑ قال ابن تيمية: «وصف الأمة بما وصف به رسولها صلوات الله وسلامه عليه»[٢] وذلك لأن صلاح المعاش والمعاد إنما يكون بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ، وذلك لا يتم إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبه صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس»[٣].

❑ قال قتادة: «بلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجها رأى من

---

(١) «التفسير الكبير» للرازي (٧/ ٢١٥)، و«غرائب القرآن ورغائب الفرقان» للنيسابوري (٣/ ١١٥).

(٢) «مجموع فتاوي ابن تيمية» (٢٨/ ١٢٢ ـ ١٢٥).

(٣) المصدر السابق (٢٨/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧).

الناس رِعَة[١] ، فقرأ هذه الآية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ...﴾، ثم قال: «من سرّه أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط اللَّه فيها»[٢] .

«ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمّهم اللَّه بقوله: ﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنكَرٍ فَعَلُوهُ...﴾ [المائدة: ٧٩]»[٣] .

❑ قال القرطبي: «تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك واتصفوا به، فإذا تركوا التغيير وتواطئوا على المنكر زال عنهم اسم المدح ولحقهم اسم الذم وكان سببًا لهلاكهم»[٤] .

❑ وقال القرطبي ـ رحمه اللَّه ـ: «إن أخص أوصاف المؤمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورأسها الدعاء إلى الإسلام والقتال عليه»[٥] .

أخرج البخاري في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: «خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام»[٦] .

❑ قال ابن كثير: «وهكذا قال ابن عباس ومجاهد وعطية العوفي وعكرمة وعطاء والربيع بن أنس ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ يعني خير الناس للناس. والمعنى أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس ولهذا قال: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

---

(١) الرعة: سوء الهيئة وسوء الأدب.

(٢) «تفسير ابن جرير» (٥/١٠٢).

(٣) «تفسير ابن كثير» (١/٣٩٦).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٤/١٧٣).

(٥) المصدر السابق (٤/٤٧).

(٦) انظر «فتح الباري» (٨/٢٢٤) حديث رقم (٤٥٥٦) ـ كتاب التفسير ـ تفسير سورة آل عمران، باب ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، وانظر الحديث رقم (٣٠١٠).

وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[١] .

ولهذا كان الدعاء إلى الإسلام أعلى الأمر بالمعروف ورأسه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

قال ابن القيم قال الحسن: «هو المؤمن أجاب اللَّه في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب اللَّه فيه من دعوته، وعمل صالحًا في إجابته، فهذا حبيب اللَّه، هذا ولي اللَّه، فمقام الدعوة إلى اللَّه أفضل مقامات التعبد»[٢] .

* **لطيفة:**

«في هذه الآية قدم اللَّه عز وجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان باللَّه مع أن الإيمان لا يتقدمه شيء من الأعمال ولا يفضله. ولكن قد يكون هذا التقديم في هذا الموضع يراد به إبراز خاصية وميزة لهذه الأمة على غيرها من الأمم، فإنهم وإن كانوا مطالبين به إلا أنه لم يكن تحقق فيهم كتحققه في هذه الأمة فاستحقوا التفضيل به على غيرهم من سائر الأمم التي سبقتهم وإن شاركوهم في تحقق الإيمان، فهذه الأمة خاتمة الأمم، ورسولها ﷺ خاتم الرسل، وكتابها آخر الكتب، وقد أُخرجت للناس لتأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر وتشهد عليهم»[٣] .

* ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ....﴾.

أمة تخرج إخراجًا من الغيب من وراء الستار السرمدي، الذي لا يعلم

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٩١)، و«الفتاوى» (٣٥/ ١٦٠).
(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٥٣).
(٣) انظر «التفسير الكبير» (٨/ ١٨٠)، و«التحرير والتنوير» (٤/ ٥٠).

ما وراءه إلا اللَّه، تخرج إلى الوجود، أمة ذات دور خاص، لها مقام خاص، ولها حساب خاص.

وهذا ما ينبغي أن تدركه الأمة المسلمة، لتعرف حقيقتها وقيمتها، وتعرف أنها أخرجت لتكون طليعة، ولتكون لها القيادة، بما أنها هي خير أمة ينبغي دائمًا أن تُعطي هذه الأمم مما لديها، وأن يكون لديها دائمًا ما تعطيه من الاعتقاد الصحيح، والتصور الصحيح، والنظام الصحيح، والخلق الصحيح، والمعرفة الصحيحة، والعلم الصحيح.. هذا واجبها الذي يحتِّمه عليها مكانها، وتحتمه عليها غاية وجودها. واجبها أن تكون في الطليعة دائمًا، وفي مركز القيادة دائمًا. ولهذا المركز تبعاته.

وفي أول مقتضيات هذا المكان، أن تقوم على صيانة الحياة من الشر والفساد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتحريض على الخير، وصيانة المجتمع من عوامل الفساد، بكل ما وراء هذه التكاليف من متاعب، ومواجهة طواغيت الشر في عنفوانهم وجبروتهم.

الدعاة إلى الخير الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر يواجهون الشر في عنفوانه، ويواجهون طاغوت الشهوة في عَرَامتها وشدَّتها، ويواجهون هبوط الأرواح، وكلل العزائم، وثقلة المطامع وزادهم هو الإيمان باللَّه، وسندهم هو اللَّه، وكل زاد سوى زاد الإيمان ينفد، وكل عدة سوى عدّة الإيمان تُفَلّ، وكل سند غير اللَّه ينهار.

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبودية ودينونة للَّه في أبهى صورها.

إنه لا بد من عبودية! فإن لا تكن للَّه وحده، تكن لغير اللَّه.. والعبودية للَّه وحده تُطلق الناس أحرارًا كرامًا شرفاء أعلياء.. والعبودية لغير اللَّه تأكل إنسانية الإنسان وكرامته وحريته وفضله.

إن اللَّه سبحانه وتعالى وصف الأمة المسلمة بأن الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر صفتها؛ ليدلّها على أنها لا توجد وجودًا حقيقيًّا إلا أن تتوافر فيها هذه السمة الأساسية، التي تُعرف بها في المجتمع الإنساني، وهذا يدل على فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ بيّن أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس.

**[٦] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرق ما بين المؤمنين والمنافقين وتجافٍ عن صفات المنافقين:**

* قال تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾ [التوبة: ٧١].

* وقال تعالى: ﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ**﴾ [التوبة: ٦٧].

قال البيهقي ـ رحمه اللَّه ـ: «إن اللَّه تعالى جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرق ما بين المؤمنين والمنافقين؛ لأنه قال: ﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ...**﴾، وقال: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ**﴾ فثبت بذلك أن أخص أوصاف المؤمنين وأقواها دلالة على صحة عقيدتهم وسلامة سريرتهم هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[1]. اهـ.

فالأمر بالمعروف أخص أوصاف المؤمنين وضده أخص أوصاف المنافقين المفارقين للمؤمنين في منهجهم ومعتقدهم ومصيرهم.

**[٧] الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر له مثل أجر من اتبعه:**

● عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من دلّ على خير**

(١) «شعب الإيمان» (٦/ ٨٤).

فله مثل أجر فاعله» رواه مسلم.

● وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا».

● وفي حديث سهل بن سعد عند البخاري: «فواللَّه لأن يهدي اللَّه بك رجلاً واحدًا، خير لك من حمر النعم».

● وقال ﷺ: «إن الدَّال على الخير كفاعله»[١].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «دليل الخير كفاعله»[٢].

● وقال ﷺ: «من استن خيرًا فاستن به كان له أجره كاملاً ومن أجور من استن به ولا ينتقص من أجورهم شيئًا ومن استن سُنَّةً سيئة فاستن به فعليه وزره كاملاً، ومن أوزار الذين استنوا به، ولا ينتقص من أوزارهم شيئًا»[٣].

## [٨] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل إلى الفلاح:

* وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

❑ قال الطبري: «﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ جماعة يدعون إلى الخير يعني إلى الإسلام وشرائعه التي شرعها اللَّه لعباده»[٤].

---

(١) صحيح: رواه الترمذي عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٦٠٥).

(٢) حسن: رواه ابن النجار عن علي، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٣٩٠).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٠٤٠).

(٤) «تفسير الطبري» (٤/ ٢٤).

وبيّن الملك عز وجل أن الفلاح منوط بالقائمين به المباشرين، وإن تقاعد عنه الخلق أجمعون، عمَّ الحرج كافة القادرين عليه لا محالة.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تكليف ليس بالهين ولا باليسير، إذا نظرنا إلى طبيعته، وإلى اصطدامه بشهوات الناس ونزواتهم، ومصالح بعضهم ومنافعهم، وغرور بعضهم وكبريائهم، وفيهم الجبار الغاشم، وفيهم الحاكم المتسلط، وفيهم الهابط الذي يكره الصعود، وفيهم المسترخي الذي يكره الاشتداد، وفيهم المنحلّ الذي يكره الجدّ، وفيهم الظالم الذي يكره العدل، وفيهم المنحرف الذي يكره الاستقامة، وفيهم وفيهم، ممن ينكرون المعروف ويعرفون المنكر، ولا تُفلح الأمة، ولا تُفلح البشرية إلا أن يسود الخير، وإلا أن يكون المعروف معروفًا، والمنكر منكرًا. والمعروف الأكبر هو الاعتراف بسلطان اللَّه ومنهجه للحياة، والعبودية له وحده. والمنكر الأكبر هو الشرك، ورفض ألوهية اللَّه، ورفض شريعته للحياة.

**[٩] بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استقامة الحياة، وسبب للنجاة من العذاب:**

* وقال تعالى: ﴿**فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ**﴾ [هود: ١١٦].

سُنّة من سنن اللَّه في الأمم؛ الأمم التي يظلم فيها الظالمون، ويفسد فيها المفسدون، فلا ينهض من يدفع الظلم والفساد، فإن سنة اللَّه تحقّ عليها؛ إما باستئصال أو انحلال واختلال. فالآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر هم صمام الأمان للأمم والشعوب، وهم يحُولون دون أممهم وغضب اللَّه واستحقاق النَّكال والضياع.

* وقال تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

* وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

* وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

لا يبقون على منكرٍ وهم قادرون على تغييره، ولا يقعدون عن معروفٍ وهم قادرون على تحقيقه.

*** حين يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:**

حينئذ تتحوَّل الحياة إلى مستنقعٍ آسن: حُكم بغير شرع اللَّه، اقتصاد يقوم على الرِّبا، مجتمع قانونه لا يعتبر الزنا جريمةً إلا في حالة الإكراه، ولا يعاقب حتى في حالة الإكراه بشريعة اللَّه، وخمور يباح تداولها، ولا يعاقب شاربها إلا على حالة السكر البين في الطريق العام، وحتى هذه لا يعاقب فيها بحد اللَّه، وشذوذ... وسبٌّ لدين اللَّه.

● عن أنس ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى لا يُقال في الأرض: اللَّه اللَّه**»(١).

❑ قال ابن كثير في أحد قوليه: معناه أن أحدًا لا يُنكر منكرًا، ولا يزجُر أحدًا إذا رآه قد تعاطى منكرًا، وعبّر عن ذلك بقوله: «حتى لا يقال: اللَّه اللَّه».

(١) رواه مسلم.

● وفي حديث عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يأخذ اللَّه شريطته من أهل الأرض، فيبقى فيها عجاجة لا يعرفون معروفًا، ولا يُنكرون منكرًا**»(١).

وكما جاء في حديث البخاري، لما قيل للنبي ﷺ: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم، إذا كثُر الخبث**».

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنها ستأتي على الناس سنون خدَّاعة، يُصدَّق فيها الكاذب، ويُكذّب فيه الصادق، ويُؤتمن فيها الخائن ويُخوَّن فيها الأمين وينطق فيها... الرُّوَيْبضَة**»(٢).

قيل: وما الرويبضة؟ قال: «**السَّفيه يتكلم في أمر العامة**»(٣).

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «من أشراط الساعة.. أن يعلو التُّحوتُ الوعول» أكذلك يا عبد اللَّه بن مسعود سمعته من حِبِّي؟ قال: نعم ورب الكعبة. قلنا: وما التُّحوتُ؟ قال: «فسول الرجال، وأهل البيوت الغامضة، يرفعون فوق صالحيهم، والوُعُول: أهل البيوت الصالحة»(٤).

---

(١) **إسناده صحيح**: رواه أحمد في مسنده (١١/ ١٨١ ـ ١٨٢) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
شريطته: أي: أهل الخير والدين، والأشراط من الأضداد يقع على الأشراف والأراذل والعجاجة والعجاج: الأراذل ومن لا خير فيهم.

(٢) الرويبضة: تصغير الرَّابِضة، وهو العاجز الذي رَبَض عن معالي الأمور، وقعد عن طلبها، والتافه الخسيس الحقير.

(٣) **إسناده جيد**: رواه أحمد في «مسنده»، وقال الشيخ أحمد شاكر (١٥/ ٣٧ ـ ٣٨): إسناده حسن ومتنه صحيح. وقال ابن كثير في «النهاية في الفتن والملاحم»: هذا إسناد جيد، ولم يخرجوه من هذا الوجه.

(٤) ذكره ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ١٥) من رواية الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة، وقال الهيثمي: حديث أبي هريرة وحده في الصحيح بعضه، ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن الحارث وهو ثقة.

● قال ﷺ : «إن الناس إذا رأوا الظالم، فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمهم اللَّه بعقاب منه»[١] .

● وقال ﷺ : «إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه أوشك أن يعمهم اللَّه بعقابه»[٢] .

● وقال ﷺ : «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي، هم أعزُّ وأكثر ممن يعمله ثم لم يغيروه، إلا عمهم اللَّه تعالى منه بعقاب»[٣] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «مثل القائم على حدود اللَّه، والمدهن فيها كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر، فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على مَنْ فوقهم، فقال الذين في أعلاها: لا ندعكم تصعدون فتؤذونا، فقالوا: لو أنَّا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا. فإن يتركوهم وما أرادوا، هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم، نجوا جميعًا»[٤] .

ووقوع الهلاك من جهتين:

الأولى: أن المعاصي التي تظهر ولا تُنكر سبب للمصائب والعقوبات.

والثانية: أن السكوت ذاته يعد معصية يستحق صاحبها العقوبة، كما أنه يدل على التهاون في دين اللَّه عز وجل.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه عن أبي بكر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٩٧٣)، وجوّد إسناده الحافظ، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، وصححه أيضًا الأرناؤوط.

(٢) صحيح: رواه أحمد عن أبي بكر، ورواه الطحاوي وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٩٧٤).

(٣) صحيح: رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان عن جرير، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٧٤٩).

(٤) رواه أحمد والبخاري والترمذي عن النعمان بن بشير.

هذا إذا كان الساكت عنه فردًا من أفراد المجتمع. أما حين تسكت الأمة بأسرها؛ فإن العقوبة تحل وتعمّ في هذه الحال.

* وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ الآية. [الأنفال: ٢٥].

عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﷺ قال: «أمر اللَّه المؤمنين أن لا يُقرّوا المنكر بين أظهرهم فيعمهم العذاب».

قال الحافظ: ولهذا الأثر شاهد من حديث عدي بن عميرة: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن اللَّه عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه؛ فإذا فعلوا ذلك عذّب اللَّه الخاصة والعامة**»[1].

وعن جرير ﷺ مرفوعًا: «**ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصي هم أعزّ منهم وأمنع لا يغيّرون إلاّ عمهم اللَّه بعقاب**»[2].

قال ابن العربي: «وهذا الفقه عظيم، وهو أن الذنوب منها ما يعجّل اللَّه عقوبته، ومنها ما يمهل بها إلى الآخرة، والسكوت عن المنكر تتعجّل عقوبته في الدنيا بنقص الأموال والأنفس والثمرات، وركوب الذل من الظلمة للخلق»[3].

---

(١) **سنده حسن**: قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٣ ـ ٤): «أخرجه أحمد بسند حسن، وهو عند أبي داود حديث العرس بن عميرة وهو أخو عدي. وله شواهد من حديث حذيفة وجرير وغيرهما عند أحمد وغيره.

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه في «سننه» كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حديث رقم (٤٠٠٩)، (٢/ ١٣٢٩)، و«مشكل الآثار» (٢/ ٦٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٢٣٨) (٢/ ٣٦٨).

(٣) «عارضة الأحوذي» (٩/ ١٥)

● وعن أم المؤمنين زينب رضي الله عنها قالت: «أنهلك وفينا الصالحون»؟ قال النبي ﷺ: «نعم إذا كثُر الخبث»[١].

❑ قال عمر بن عبد العزيز: كان يقال: «أن اللَّه تعالى لا يعذب العامة بذنب الخاصة، ولكن إذا عُمِل المنكر جهارًا استحقوا كلهم العقوبة»[٢].

❑ وقال بلال بن سعد ـ رحمه اللَّه ـ: «إن المعصية إذا خفيت لم تضرّ إلا صاحبها، وإذا أُعلنت فلم تغير ضرت العامة»[٣].

## [١٠] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موجب للرحمة، وتركهما يفضي إلى اللعنة:

* قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

* وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ ـ ٧٩].

وطبيعة المجتمع الصالح لا تسمح للشر والمنكر أن يصبحا عرفًا مصطلحًا عليه، أو أن يُصبحا أمرًا سهلاً يجترئ عليه كل من يهمُّ به.

والقائمون بأمر اللَّه ودينه، عليهم أن يؤدوا أمانتهم التي استُحفِظوا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم (٣٥٩٨) «الفتح» (٦/ ٦١١).

(٢) «الموطأ» رقم (١٨٢٠) و«الزهد» لابن المبارك (١٣٥١).

(٣) «الزهد» لابن المبارك (١٣٥٠)، و«الحلية» (٥/ ٢٢٢).

عليها، فيقفوا في وجه الشر والفساد والطغيان والاعتداء، لا يخافون لومة لائم، سواءٌ جاء هذا الشر من الحكام المتسلطين بالحكم أو الأغنياء المتسلطين بالمال أو الأشرار المتسلطين بالأذى، أو الجماهير المتسلطة بالهوى، فمنهج اللَّه هو منهج اللَّه، والخارجون عليه علوا أم سفلوا سواءٌ.

والإسلام يشدِّد في الوفاء بهذه الأمانة، فيجعل عقوبة الجماعة عامة بما يقع فيها من شر، إذا هي سكتت عليه، ويجعل الأمانة في عنق كل فردٍ، بعد أن يضعها في عنق الجماعة عامة.

وفي الآية غاية التَّشدُّد، إذ علَّل استحقاقهم للعنة بتركهم النهي عن المنكر.

* وقال تعالى: ﴿ **لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** ﴾ [المائدة: ٦٣].

وهذا صوت النذير لكل أهل دين.

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**أكثر منافقي أمتي قُرَّاؤها**»(١).

● وقال ﷺ: «**غيرُ الدَّجال أخوف على أمتي من الدَّجّال، الأئمة المضلون**»(٢).

* وقال تعالى: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ**

(١) صحيح: رواه أحمد والطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «الشعب» عن ابن عمرو، وأحمد والطبراني في «الكبير» عن عقبة بن عامر، والطبراني في «الكبير» وابن عدي عن عصمة بن مالك، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٠١٢)، و«السلسلة الصحيحة» رقم (٧٥٠).

(٢) صحيح: رواه أحمد عن أبي ذر، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٩٨٩)، و«صحيح الجامع» رقم (٤١٦٥).

الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

وهذه صورة زرية بائسة، ومثل سيئ شائنٌ لكل الذين حملوا أمانة العلم والعقيدة، ثم لم يحملوها ويصدعوا بها.

يقول مصطفى صادق الرافعي في «وحي القلم» (٣/ ٥٨ ـ ٦٦) تحت عنوان «أمراء للبيع»: «إننا نفوس لا ألفاظ، والكلمة من قائلها هي بمعناها في نفسه، لا بمعناها في نفسها، فما يحسن بحامل الشريعة أن ينطق بكلام يرده الشرع عليه، ولو نافق الدين، لبطل أن يكون دينًا، لو نافق العالم الديني، لكان كل منافق أشرف منه، فلطخة في الثوب الأبيض ليست كلطخة في الثوب الأسود والمنافق رجل مغطى في حياته لكن عالم الدين رجل مكشوف في حياته لا مغطّى، فهو للهداية لا للتلبيس، وفيه معاني النور لا معني الظلمة، وذاك يتصل بالدين من ناحية العمل، فإذا نافق فقد كذب، والعالم يتصل بالدين من ناحية العمل وناحية التَّبيين؛ فإذا نافق فقد كذب وغش وخان.

وما معنى العلماء بالشرع إلا أنهم امتداد لعمل النبوة في الناس دهرًا بعد دهر، ينطقون بكلمتها، ويقومون بحجتها، ويأخذون من أخلاقها كما تأخذ المرآة النُّور، تحويه في نفسها، وتلقيه على غيرها، فهي أداةٌ لإظهاره وإظهار جماله معًا.

أتدري يا ولدي ما الفرق بين علماء الحق وعلماء السوء، وكلهم آخذٌ من نور واحدٍ لا يختلف؟!

أولئك في أخلاقهم كاللوح من البلُّور يُظهر النور نفسه فيه، ويُظهر حقيقته البلورية، وهؤلاء بأخلاقهم كاللوح من الخشب، يُظهر النور حقيقته الخشبية لا غير!

وعالم السوء يفكِّر في كتب الشريعة وحدها، فيسهل عليه أن يتأوَّل ويحتال، ويغير ويُبدِّل، ويُظهر ويُخفي، ولكن العالم الحق يفكر مع كتب

الشريعة في صاحب الشريعة، فهو معه في كل حالةٍ؛ يسأله: ماذا تفعل؟ وماذا تقول؟

والرجل الديني لا تتحول أخلاقه، ولا تتفاوت ولا يجيء كل يوم من حوادث اليوم، فهي بأخلاقه كلها، لا يكون مرة ببعضها ومرة ببعضها، ولن تراه مع ذوي السلطان وأهل الحكم والنعمة كعالم السوء هذا، الذي لو نطقت أفعاله لقالت للَّه بلسانه: هم يُعطوني الدراهم والدنانير، فأين دراهمك أنت ودنانيرك؟!

إن الدينار يا ولدي إذا كان صحيحًا في أحد وجهيه دون الآخر، أو في بعضه دون بعض، فهو زائف كله.

وأهل الحُكم والجاه حين يتعاملون مع هؤلاء، يتعاملون مع قوَّة الهضم فيهم، فينزلون بذلك منزلة البهائم، تقدِّم أعمالها لتأخذ بطونها، والبطن الآكِل في العالم السّوء، يأكُل دين العالم فيما يأكله.

فإذا رأيت لعالم السوء وقارًا فهو البلادة، أو سكوتًا عن الظلم؛ فتلك رشوة يأكلون بها» اهـ.

* قال تعالى: ﴿**لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾ [المائدة: ٦٣].

أخرج ابن جرير في تفسيره عن الضحاك أنه قال في هذه الآية: «ما في القرآن آية أخوف عندي منها: أننا لا ننهى»[(١)].

قال ابن جرير: «وكان العلماء يقولون: ما في القرآن آية أشد توبيخًا للعلماء من هذه الآية ولا أخوف عليهم منها»[(٢)].

---

(١) إسناده صحيح.

(٢) «تفسير الطبري» (١٠/ ٤٤٩) ـ طبع دار المعارف.

[ ١١ ] **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب للنصر والتمكين:**

* قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠ - ٤١]. واللَّه ما استُجلب نصر بمثل الطاعة وأعلاها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

[ ١٢ ] **إقامة الملة والشريعة وحفظ الدين والعقيدة لتكون كلمة اللَّه هي العليا وإلا صار الدين غريبًا:**

* قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

* قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠].

* قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

فمن لم يأمر بالخير ويدعو إليه أُمِر بالشر، ومن لم يزحف بمبادئه زُحِف إليه بكل مبدأ وفكرة وخواء روحي، ومبادئ أرضية وأفكار متعفنة، واختفت معالم الدين، وتفشت المنكرات والكفر والظلم حتى يصبح المتمسك بدينه غريبًا بين الناس.

❑ قال الخلال: «أخبرني عمر بن صالح بطرسوس، قال: قال لي أبو عبداللَّه - أحمد بن حنبل - : يا أبا حفص يأتي على الناس زمان يكون المؤمن فيه بينهم مثل الجيفة، ويكون المنافق يشار إليه بالأصابع، فقلت: يا أبا عبداللَّه، وكيف يشار إلى المنافق بالأصابع؟! فقال: يا أبا حفص صيّروا

أمر اللَّه فضولاً. وقال: المؤمن إذا رأى أمرًا بالمعروف أو نهيًا عن المنكر لم يصبر حتى يأمر وينهي، يعني قالوا: هذا فضول. قال: والمنافق كل شيء يراه قال بيده على فمه. فقالوا: نعم الرجل، وليس بينه وبين الفضول عمل»[١].

والدعوة إلى الإيمان باللَّه وتوحيده، ونبذ ما يخالفه في العقيدة والشريعة من شركيات وبدع وخرافات أعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

**[ ١٣ ] بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحفظ الضروريات الخمس:**

مجموع الضروريات خمس: الدين، والنفس، والعقل، والنسل والمال.

ومقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم ونسلهم ومالهم.

وأصول العبادات راجعة إلى حفظ الدين من ناحية الوجود، والعادات راجعة إلى حفظ النفس والعقل من ناحية الوجود، والمعاملات راجعة إلى حفظ النسل والمال من ناحية الوجود، وإلى حفظ النفس والعقل لكن بواسطة العادات، والجنايات راجعة إلى حفظ الجميع من جانب العدم.

والذي يجمعها من جانب الوجود: الأمر بالمعروف، ومن جانب العدم: النهي عن المنكر[٢].

**[ ١٤ ] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باب عظيم لتكفير السيئات:**

● قال ﷺ: «**فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره يكفِّرها الصيام، والصلاة، والصدقة، والأمر بالعروف، والنهي عن المنكر**»[٣].

□ قال سليمان: «قد كان يقول: الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف

(١) «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» للخلاّل ص(٦٥).

(٢) «الموافقات» للشاطبي (٢/ ٨ ـ ٩).

(٣) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه عن حذيفة.

والنهي عن المنكر»[١] .

[١٥] وهو شكر لله على نعمه:

● عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يصبح على كل سُلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى**»[٢] .

● عن أبي ذر رضي الله عنه أن أناسًا من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رسول اللَّه ذهب أهل الدُّثور[٣] بالأجور، يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم قال: «**أوليس قد جعل اللَّه لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة**» قالوا يا رسول اللَّه: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجرٌ؟ قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجرٌ**»[٤] .

---

(١) رواه البخاري في كتاب «الزكاة» ـ باب الصدقة تكفر الخطيئة حديث رقم (١٤٣٥)، وكذا رقم (٣٥٨٦)، (٧٠٩٦)، ومسلم في كتاب «الفتن وأشراط الساعة» ـ باب في الفتنة تموج كموج البحر حديث رقم (١٤٤) (٤/ ٢٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب صلاة المسافرين، باب: استحباب صلاة الضحى، والحث على المحافظة عليها حديث رقم (٧٢٠) (١/ ٤٩٩)، وفي كتاب الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، حديث رقم (١٠٠٦، ١٠٠٧)، وأخرج نحوه من حديث عائشة (٢/ ٦٩٨).

(٣) الدثور: جمع دثر، وهو المال الكثير.

(٤) رواه مسلم (١٠٠٦).

● وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول اللَّه ﷺ قال: «إنه خُلِقَ كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل. فمن كبَّر اللَّه وحمد اللَّه، وهلَّل اللَّه، وسبَّح اللَّه، واستغفر اللَّه، وعزل حجرًا عن طريق الناس، أو شوكةً أو عظمًا عن طريق الناس، وأمر بمعروف ونهى عن منكر، عدد تلك الستين والثلاثمائة السُّلامى[1] فإنه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار»[2].

● وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة»[3].

● عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «على كل مسلم صدقة» قالوا يا رسول اللَّه فإن لم يجد؟ قال: «فيعملُ بيديه فينفعُ نفسه ويتصدق» قالوا: فإن لم يستطع، أو لم يفعل؟ قال: «فيعين ذا الحاجة الملهوف» قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: «فليأمر بالخير» أو قال: «بالمعروف» قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: «فليمسك عن الشر فإنه له صدقة»[4].

## [١٦] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باب عظيم لإجابة الدعاء:

● عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «مروا بالمعروف، وانهَوْا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يُستجاب لكم»[5].

(١) السُّلامى: هو المفصل وجمعه سلاميات.

(٢) رواه مسلم (١٠٠٧).

(٣) حسن: رواه الترمذي في «سننه» (١٩٥٧)، وقال: هذا حديث حسن غريب. وقال الأرناؤوط في تحقيق الأصول (٩/ ٥٦١): حديث حسن.

(٤) رواه البخاري، ومسلم.

(٥) حسن: رواه ابن ماجه في «سننه» (٤٠٠٤)، وحسّنه الألباني في «صحيح سنن ابن =

● وعن حذيفة بن اليمان ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن اللَّه أن يبعث عليكم عقابًا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**»(١).

[١٧] **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من موجبات الجنة:**

● عن أبي كثير السُّحيمي عن أبيه قال: سألت أبا ذر قلت: دُلَّني على عمل إذا عمل العبد به دخل الجنة؟ قال: سألت عن ذلك رسول اللَّه ﷺ قال: «**تؤمن باللَّه واليوم الآخر**» قلت: يا رسول اللَّه ﷺ إن مع الإيمان عملاً؟ قال: «**يرضخ**(٢) **مما رزقه اللَّه**» قلت: يا رسول اللَّه، أرأيت إن كان فقيرًا لا يجد ما يرضخ به؟ قال: «**يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر**» قال: قلت: يا رسول اللَّه، أرأيت إن كان عييًّا لا يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟ قال: «**يصنع لأخرق**» قلت: أرأيت إن كان أخرق أن يصنع شيئًا؟ قال: «**يعين مغلوبًا**». قلت: أرأيت إن كان ضعيفًا لا يستطيع أن يعين مغلوبًا؟ قال: «**ما تريد أن يكون في صاحبك من خير؟ يمسك عن أذى الناس**» فقلت: يا رسول اللَّه إذا فعل ذلك دخل الجنة؟ قال: «**ما من مسلم يفعل خصلة من هؤلاء إلا أخذت بيده حتى تُدخله الجنة**»(٣).

● وعن البراء بن عازب ﷺ قال: جاء أعرابي فقال: يا نبي اللَّه

---

= ماجه» (٢/ ٣٦٧).

(١) **حسن**: رواه الترمذي في «سننه» (٢١٦٩)، وقال: هذا حديث حسن، وحسّنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١٧٦٢)، والمنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٢٢٧).

(٢) يرضخ: أي يُعطي عطية قليلة.

(٣) **صحيح**: رواه الطبراني في «المعجم الكبير» واللفظ له، وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٢٣٠) رواته ثقات، وكذا رواه ابن حبان في «صحيحه»، والحاكم (١/ ٦٣)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

علمني عملاً يدخلني الجنة قال: «لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة[١] أعتق النسمة، وفك الرقبة». قال: أوليستا بواحد؟ قال: «لا، إن عتق النَّسمة أن تفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في عتقها، والمنحة الوكوف[٢] والفيء على ذي الرحم[٣] الظالم؛ فإن لم تطق ذلك فأطعم الجائع واسق الظمآن، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر؛ فإن لم تطق ذلك فكُفَّ لسانك إلا من الخير»[٤].

## [١٨] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مظهر عظيم للغيْرة وإجلال لله وتعظيم لحرماته ودليل حياة القلب:

لا أحد أغير من اللَّه، ولذا حرّم اللَّه الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تعظيم لحرمات اللَّه.

* قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠].

* وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر يغضبون لمحارم اللَّه إذا استحلت، كما يغضب النمر إذا حَرِب.

● قال رسول اللَّه ﷺ: «المؤمن يغار واللَّه أشد غيراً»[٥].

---

(١) أعرضت المسألة: أي جئت بها عريضة أي: واسعة.

(٢) المنحة الوكوف: الغزيرة اللبن الكثيرة الدر.

(٣) الفيء على ذي الرحم: الرجوع عليهم بما رد اللَّه تعالى عليك من أموال.

(٤) إسناده صحيح: رواه أحمد في «المسند» (٤/ ٩٩) واللفظ له، والبغوي في «شرح السنة» (٩/ ٣٥٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١/ ١٥١)، ورجاله ثقات وسنده صحيح.

(٥) رواه مسلم عن أبي هريرة.

وغيرة العبد لربه أن تنتهك محارمه ملاك الغيرة وأعلاها، كيف لا يأمر المسلم وينهى ويغار على شرع اللَّه المعطل المغيّب عن ديار المسلمين، والقرآن الذي عُطّلت أحكامه، والسنة التي انمحى نورها وقلّ اتباعها في زمن علا فيه شأن الذوق والمواجيد. كيف لا يغار وأعراض المسلمين تنتهك، وتغتصب الطاهرات حتى بعد موتهن.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علامة حياة القلب وأن همه كله في اللَّه وحبه كله له، كلما عرض له من ربه أمرٌ ونهيٌ أحسّ من قلبه ناطقًا ينطق: «لبيك وسعديك، إني آمر بالمعروف وناه عن المنكر ولك المنة عليّ في ذلك والحمد فيه عائد إليك».

❑ قال أحد السلف: وددت أن الخلق كلهم أطاعوا اللَّه وأن لحمي قُرض بالمقاريض.

❑ قال عبدالملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه: «وددت أني غلتْ بي وبك القدور في اللَّه تعالى».

## [١٩] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شدٌّ لظهر المؤمن وإرغام لأنف المنافق والزنديق:

❑ قال الثوري ـ رحمه اللَّه ـ : «إذا أمرت بالمعروف شددت ظهر المؤمن، وإذا نهيت عن المنكر أرغمت أنف المنافق»[1].

فإن المنافق يخنس ويشرق إذا اضمحلت المنكرات بنهي الصالحين عنها، فكيف إذا ألزم الاستقامة أمام الناس.

أمام المؤمن فإن سعادته لا تقدر ولا تُحد حينما ينتشر الخير فينشرح صدر الآمرين بالمعروف بترفع المجتمع عن الدنايا، وقرب الناس من ربهم،

(١) «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» للخلاّل ص(٦٧).

ومحاسبتهم لأنفسهم على أصغر الزلات وترك الأمر بالمعروف يُجرّئ العصاة والفسّاق على أهل الإيمان فينالون منهم ويتطاولون عليهم بل ويسخرون منهم.

**[٢٠] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نشر للعلم والسنة وذيوع للخير، وتركهما اندراس للعلم وظهور للجهل وتزيين للمعاصي:**

فإن المنكر إذا ظهر ولم يوجد من ينكره نشأ عليه الصغير وألفه وظن أنه من الحق ويصير الواقع فتنة للعامة يصدَّق فيها الكاذب ويُكّذب فيها الصادق، ويؤتمن فيه الخائن ويُخوّن الأمين وينطق الرويبضة وهو السفيه الذي يتكلم في أمر العامة بل وفي دين اللَّه.

وضد ذلك أن يجلو أمر المنكر أمام الناس ويعرفه الصغير والكبير فينتشر العلم ويظهر نور السنة في المجتمع ودنيا الناس، وإذا كثر الفاعلون للخير تداعى الناس إلى فعله؛ لأن النفوس مجبولة على تشبه بعضها ببعض فالناس كأسراب القطا. وصاحب المنكر كالبعير الأجرب يختلط بالإبل فتجرب جميعًا، وأهل الفساد لا يرضون إلا بموافقة الناس لهم، ويكرهون من تنزه عن ذلك، وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن المرأة الزانية تود أن النساء كلهن يزنين، ونقل ذلك عن السلف.

**[٢١] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إقامة لحجة اللَّه على خلقه:**

❑ كما قال الشيخ الشنقيطي في «أضواء البيان» (١/ ١٧٦).

* قال تعالى: ﴿**رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾ [النساء: ١٦٥].

**[٢٢] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شهادة على الخلق:**

❑ قال الإمام مالك بن أنس: «ينبغي للناس أن يأمروا بطاعة اللَّه؛ فإن

عُصوا كانوا شهوداً على من عصاه»[١].

وبالمقام الشهادة من مرتبة تتضاءل دونها الرتب، واللَّه لو لم يكن في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا هذه المنقبة لكفى.

**[٢٣] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خروج من عهدة التكليف:**

* وقال تعالى: ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣-١٦٥].

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب يؤدَّى للَّه؛ لنبلغ إلى اللَّه عذرنا، ويعلم أن قد أدينا واجبنا، ثم لعل النصح يؤثر في تلك القلوب العاصية، فيثير فيها وجدان التقوى.

❑ قال ابن العربي في قصة أصحاب السبت: «فاستمروا على نهيهم لهم ولم يمنع من التمادى على الوعظ والنهي عدم قبولهم؛ لأنه فرْض قُبِل أو لم يُقبَل».

❑ وقال القاسمي: «دل قوله تعالى: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ على أن المنكر لا يسقط ولو علم المنكِر عدم الفائدة فيه، إذ ليس من شرطه حصول الامتثال عنه، ولو لم يكن فيه إلا القيام بركن عظيم من أركان

(١) «الجامع» لابن أبي زيد القيرواني ص(١٥٦).

الدين والغيرة على حدود اللَّه والاعتذار إليه تعالى إذا شدّد في تركه لكفاه فائدة».

قال النووي: «قال العلماء رحمهم الله: ولا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه، بل يجب فعله؛ فإن الذكرى تنفع المؤمن، وقد قدّمنا أن الذي عليه الأمر والنهي لا القبول، وكما قال اللَّه عز وجل: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾».

والقول بالوجوب هو رواية عن الإمام أحمد وصححه أبو يعلى، وهو اختيار ابن تيمية، وعزاه ابن رجب إلى أكثر أهل العلم»[1].

وقال ابن تيمية: «لو فُرض أن الناس لا يترك أحد منهم هذه المشابهة المنكرة ـ مشابهة الكفار ـ لكان في العلم بها معرفة القبيح والإيمان بذلك؛ فإن نفس العلم والإيمان بما كرهه اللَّه خير، وإن لم يعمل به، بل فائدة العلم والإيمان أعظم من فائدة مجرد العمل الذي لا يقترن به علم؛ فإن الإنسان إذا عرف المعروف، وأنكر المنكر كان خيراً من أن يكون ميت القلب لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا».

«ثم لو فُرض أنا علمنا أن الناس لا ينكرون المنكر، ولا يعترفون بأنه منكر، لم يكن ذلك مانعًا من إبلاغ الرسالة وبيان العلم؛ بل ذلك لا يُسقط وجوب الإبلاغ، ولا وجوب الأمر والنهي ـ في إحدى الروايتين عن أحمد ـ وقول كثير من أهل العلم»[2].

والقول الثاني: «القول بالاستحباب، وإنما يكون مستحبًّا حيث لم يخش الضرر وهو رواية عن أحمد، واختاره الجصاص والشنقيطي في

---

(١) «انظر الآداب الشرعية» (١/ ١٥٨)، و«مختصر الفتاوى المصرية» ص(٥٨).

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ١٤٨، ١٤٩).

أضواء البيان»[١] .

● عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما شبك النبي ﷺ أصابعه وقال: «كيف أنت يا عبد اللَّه بن عمرو إذا بقيت في حثالة قد مرجت عهودهم وأمانتهم واختلفوا فصاروا هكذا» قال: فكيف أصنع يا رسول اللَّه؟ قال: «تأخذ ما تعرف وتدع ما تنكر وتُقبل على خاصتك وتدعهم وعوامهم»[٢] .

● وفي لفظ آخر: بينما نحن جلوس عند رسول اللَّه ﷺ إذ ذُكرت الفتنة فقال: «إذا رأيتم الناس مرجت عهودهم وخفّت أمانتهم وكانوا هكذا» ـ وشبّك بين أصابعه ـ قال ابن عمرو: فقمت إليه فقلت: كيف أفعل عند ذلك جعلني اللَّه فداك؟ قال: «الزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف، ودعْ ما تُنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة»[٣] .

## [ ٢٤ ] الشهادة بالإيمان لفاعله وجعله من أفضل أعمال المؤمنين:

● قال رسول اللَّه ﷺ: «أحب الأعمال إلى اللَّه إيمان باللَّه، ثم صلة الرحم، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأبغض الأعمال إلى اللَّه الإشراك باللَّه ثم قطيعة الرحم»[٤] .

---

(١) «انظر الآداب الشرعية» (١/ ١٥٨)، و«أحكام القرآن» للجصاص (٢/ ٢١٨)، و«أضواء البيان» (١/ ١٧٥).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» رقم (٦٥٠٨)، والبخاري تعليقًا في كتاب الصلاة ـ باب تشبيك الأصابع ـ حديث (٤٧٩)، «الفتح» (١/ ٥٦٥)، وابن ماجه (٣٩٥٧)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٧٤٥، ٧٥٧).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٢١٢)، وأبو داود في «الملاحم» باب الأمر والنهي حديث رقم (٤٣٢١)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٨٢).

(٤) حسن: رواه أبو يعلى في مسنده عن رجل من خثعم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٦٦).

[٢٥] وصف تاركه والقاعد عنه بالظلم:

* قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ١١٦].

«أراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات، أي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واتبعوا طلب الشهوات واللذات واشتغلوا بتحصيل الرياسات»[١].

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥].

❑ قال الزمخشري: «ليس المراد ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فإن من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد، وإنما هو بعض الضلال الذين فصلت الآية بينهم وبينه»[٢].

وذهب بعض المفسرين في تفسير هذه الآية إلى نكتة لطيفة هي أن الآية تقول: إن المؤمنين لن ينال منهم الضالون شيئًا إذا كانوا مهتدين. وإنما يكون الإنسان مهتديًا إذا لم يقتصر على إصلاح نفسه بل يسعى لإصلاح غيره. والذي يترك السعي لذلك فإنه جائر عن قصد السبيل مهما كان صالحًا متورعًا في نفسه. وإن ما ذهبوا إليه ليس نكتة دقيقة فحسب، بل هي تمثل روح الكتاب والسنة»[٣].

● وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: يا أيها الناس! إنكم تقرءون

(١) «التفسير الكبير» (١٨/ ٧٥)، «فتح القدير» (٢/ ٥٣٤)، و«تفسير القاسمي» (٩/ ١٨٠).
(٢) «الكشاف» (١/ ٣٨٦).
(٣) «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» للسيد جلال الدين العمري ص(٢٨) ـ شركة الشعاع للنشر.

هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]. وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا ظالمًا فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب»[١].

❑ وفي قصة أصحاب السبت قال الحافظ ابن كثير:

يخبر تعالى عن أهل هذه القرية أنهم صاروا إلى ثلاث فرق:

فرقة ارتكبت المحظور، واحتالوا على اصطياد السمك يوم السبت، وفرقة نهت عن ذلك واعتزلتهم، وفرقة سكتت فلم تفعل ولم تنه، ولكنها قالت للمنكرة ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أي: لم تنهون هؤلاء وقد علمتم أنهم هلكوا واستحقوا العقوبة من الله؟ فلا فائدة في نهيكم إياهم، قالت لهم المنكرة: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ قرأ بعضهم بالرفع[٢]، كأنه على تقدير هذه معذرة، وقرأ آخرون بالنصب[٣] أي: نفعل ذلك ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ أي: فيما أخذ علينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يقولون: ولعلّ بهذا الإنكار يتقون ما هم فيه ويتركونه، ويرجعون إلى الله تائبين؛ فإذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم.

* قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أي: فلما أبى الفاعلون المنكر قبول النصيحة. ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: ارتكبوا المعصية ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ فنصّ على نجاة الناهين وهلاك الظالمين، وسكت عن الساكتين؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فهم لا يستحقون مدحًا فيمدحوا، ولا ارتكبوا عظيمًا فيذموا، ومع هذا فقد اختلف الأئمة فيهم هل

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٣٠٥٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) وهم ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة والكسائي.

(٣) وهي قراءة عاصم.

كانوا من الهالكين أو من الناجين؟ على قولين:

❑ قال علي بن أبي طلحة: عن ابن عباس ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾.. فلما وقع عليهم غضب اللَّه نجت الطائفتان اللتان قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾، والذين قالوا: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ وأهلك اللَّه أهل معصيته الذين أخذوا الحيتان فجعلهم قردة.

❑ وقال حماد بن زيد: عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ قال: ما أدري أنجا الذين قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ أم لا؟ قال: فلم أزل به حتى عرّفته أنهم قد نجوا، وكساني حلة».

وساق ابن كثير رواية عكرمة التي ذكرها عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٤٠، ٢٤٢)، وابن جرير (١٣/ ١٥٢٧٢) ومنها قال ابن عباس: «فأرى الذين نهوا قد نجوا، ولا أرى الآخرين ذُكروا، ونحن نرى أشياء ننكرها ولا نقول فيها، قال: قلت: أي جعلني اللَّه فداك، ألا ترى أنهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوهم، وقالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾؟ قال: فأمر لي، فكُسيت ثوبين غليظين، وكذا روى مجاهد عنه.

❑ ثم قال ابن كثير: القول الثاني: أن الساكتين كانوا من الهالكين عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال: ابتدعوا السبت فابتلوا فيه، فحُرمت عليهم فيه الحيتان، فكانوا إذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان، ينظرون إليها في البحر؛ فإذا انقضى السبت ذهبت، فلم تُر حتى السبت المقبل؛ فإذا جاء السبت جاءت شُرّعًا، فمكثوا ما شاء اللَّه أن يمكثوا كذلك، ثم إن رجلاً منهم أخذ حوتًا فخزمه بأنفه، ثم ضرب له وتدًا في الساحل، وربطه وتركه في

الماء، فلما كان الغد أخذه فشواه فأكله، ففعل ذلك وهم ينظرون ولا يُنكرون، ولا ينهاه منهم أحد إلا عصبة منهم نهوه، حتى ظهر ذلك في الأسواق، ففُعل علانية، قال: فقالت طائفة للذين ينهونهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ فقالوا: نسخط أعمالهم ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾.

❑ قال ابن عباس: كانوا أثلاثًا: ثلث نهوا، وثلث قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾، وثلث أصحاب الخطيئة، فما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم.

وهذا إسناد جيد عن ابن عباس، ولكن رجوعه إلى قول عكرمة في نجاة الساكتين أولى من القول بهذا؛ لأنه تبيّن حالهم بعد ذلك، والله أعلم»[1]، وعلى أي حال فإن الأمة الثالثة قد سكت عنها النص، ربما تهوينًا لشأنها ـ وإن كانت لم تؤخذ بالعذاب ـ فاستحقت الإهمال، وإن لم تستحق العذاب.

❑ قال شيخ الإسلام ابن القيم: «ليس الدين بمجرد ترك المحرمات الظاهرة، بل بالقيام مع ذلك بالأمور المحبوبة للّه، وأكثر الدّينين لا يعبأون منها إلا بما شاركهم فيه عموم الناس، وأما الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة للّه ولرسوله وعباده، ونصرة اللّه ورسوله وكتابه ودينه؛ فهذه الواجبات لا يخطرْن ببالهم، فضلاً عن أن يريدوا فعلها، فضلاً عن أن يفعلوها.

وأقل الناس دينًا وأمقتهم إلى اللّه من ترك هذه الواجبات وإن زهد في الدنيا جميعها، وقلّ أن يُرى منهم من يحمّر وجهه ويتمعّر في اللّه، ويغضب لحرماته، ويبذل عرضه في نصرة دينه.

(١) انظر تفسير ابن كثير (٦/ ٤٢٤ ـ ٤٢٨) ـ مكتبة أولاد الشيخ.

وأصحاب الكبائر أحسن حالاً عند اللَّه من هؤلاء.

❑ قال الشيخ حمد بن عتيق: «قد فتح الشيطان لكثير من الناس أبوابًا من الشر في إسقاط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وألقاها على أُناس فيهم شبهة دين، حتى اعتقدوها أعذارًا لهم، وإنما هي من زخارف الشياطين، ولكن إذا تبين أن الزاني والسارق وشارب الخمر أحسن حالاً عند اللَّه من هؤلاء الجنس فهذا كافٍ من شناعة مذهبهم وسوء منقلبهم»[١].

❑ قال بعض السلف: من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مخافة المخلوقين نزعت منه الطاعة، فلو أمر ولده أو بعض مواليه لاستخفّ بحقه.

❑ قال جامع بن شدّاد: «كنت عند عبد الرحمن بن يزيد بفارس، فأتاه نعي الأسود بن يزيد، فأتيناه نعزيه. فقال: مات أخي الأسود. ثم قال: قال عبداللَّه: يذهب الصالحون أسلافًا ويبقى أصحاب الرِّيب. فقالوا: يا أبا عبدالرحمن، وما أصحاب الرِّيب؟! قال: «قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن منكر»[٢].

## [ ٢٦ ] نفي الإيمان عمّن قعد عنه ولو بالقلب:

● **عن ابن مسعود مرفوعًا: «ما من نبي بعثه اللَّه في أمة قبلي إلاّ كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يُؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»**[٣].

(١) «مجموعة رسائل» الشيخ حمد بن عتيق ص(٣٧)، و«الدرر السنّية» (٧/ ٣٦ ـ ٣٩) في الأجوبة النجدية جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.

(٢) «شعب الإيمان» للبيهقي (٦/ ٩٤) رقم ٧٥٨٤).

(٣) رواه أحمد ومسلم.

● وعن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيّره بيده؛ فإن لم يستطع فبلسانه؛ فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[١]. لا رخصة لأحد في ترك الإنكار بالقلب.

❑ قال ابن تيمية: وإنكار القلب: هو الإيمان بأن هذا منكر، وكراهته لذلك»[٢].

ومتى لا يعرف القلب المعروف ولا ينكر المنكر فهذا علامة موته:

● عن حذيفة بن اليمان ﷺ مرفوعًا: «**تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أُشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مربادًّا، كالكوز مُجَخِّيًا، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، إلا ما أُشرب من هواه**»[٣].

❑ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وذلك أضعف الإيمان» مراده أنه لم يبق بعد هذا الإنكار ما يدخل في الإيمان حتى يفعله المؤمن، بل الإنكار بالقلب آخر حدود الإيمان ليس مراده أن من لم ينكر لم يكن معه من الإيمان حبة خردل، ولهذا قال: «ليس وراء ذلك» فجعل المؤمنين ثلاث طبقات، فكل منهم فعل الإيمان الذي يجب عليه..»[٤].

❑ قال القرافي: «ما معنى قوله ـ عليه السلام ـ وذلك أضعف الإيمان؟

جوابه: المراد بالإيمان هنا الإيمان الفعلي الوارد في قوله تعالى: ﴿وَمَا

---

(١) رواه أحمد ومسلم والنسائي، والترمذي وأبو داود وابن ماجه.

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ١٤٨).

(٣) أخرجه في «صحيحه» كتاب الإيمان ـ باب أن الإسلام بدأ غريبًا حديث رقم (١٤٤) (١/ ١٢٨).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ١٢٧).

﴿كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ أي: صلاتكم لبيت المقدس، والصلاة فعل.

وأقوى الإيمان الفعلي إزالة اليد، ثم القول لأنه قد لا تقع معه الإزالة، وقد تقع، والإنكار القلبي لا يورّث إزالة البتة»[1].

اعلم أن كثيراً من الناس يظنون أنه ما دام كارهًا للمنكر فلا بأس عليه بمخالطة فاعله أو الجلوس معه حاله مواقعته للمنكر، أو البقاء في مكان فيه منكر، وهذا مخالف للشرع.

* قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

وهذا نهي صريح عن مجالستهم حال مواقعتهم لهذا المنكر، فما دام لا يقدر على الإنكار باليد أو اللسان فلا بد إذًا من مفارقته للمنكر ـ هذا هو الصحيح»[2].

❑ قال الإمام القرطبي: «فدلّ بهذا على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر؛ لأن من لم يجتنبهم فقد رضي فعلهم والرضا بالكفر كفر، قال اللَّه عز وجل: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها؛ فإن لم يقدر على النكير عليهم فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية، وإذا ثبت تجنب أهل المعاصي فتجنب أهل البدع والأهواء أولى»[3].

---

(١) انظر «الفروق» للقرافي (٤/٢٥٦).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٠٤، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٣٩).

(٣) القرطبي (٥/ ٤١٨).

﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «أي إن قعدتم معهم في الحال المذكور ﴿مِّثْلُهُمْ﴾ لأنكم رضيتم بكفرهم واستهزائهم، والراضي بالمعصية كالفاعل لها.

والحاصل أن من حضر مجلسًا يعصى اللَّه به فإنه يتعيّن عليه الإنكار عليهم مع القدرة، أو القيام مع عدمها»[١].

● عن عُرْس بن عميرة الكندي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا عُمِلت الخطيئة في الأرض كان من شهدها وكرهها كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها**»[٢].

● وعن أم سلمة رضي الله عنها مرفوعًا: «**ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرِف برئ، ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع**»[٣].

[٢٧] **الثواب العظيم للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر:**

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن من أمتي قومًا يُعطَون مثل أجور أولهم، يُنكرون المنكر**»[٤].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**إن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف**

---

(١) «تفسير السعدي» (٢/ ٩٣ ـ ٩٤).

(٢) **حسن**: رواه أبو داود في «سننه» ـ كتاب الملاحم ـ باب الأمر والنهي حديث رقم (٤٣٢٣)، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٨٩)، والأرناؤوط في «جامع الأصول» (١/ ٣٣٣) رقم (١١٥).

(٣) رواه مسلم ـ كتاب الإمارة ـ باب وجوب الإنكار على الأمراء مما يخالف الشرع وترك قتالهم ما صلوا حديث رقم (١٨٥٤).

(٤) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده» عن رجل، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٢٢٤).

في الآخرة، وإن أهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة»[١].

● وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والله لأن يُهدى بهداك واحد، خيرٌ لك من حمر النَّعَم»[٢].

● وعن أبي أمية الشعباني، قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني، فقلت له: كيف تصنع بهذه الآية؟ قال: أية آية؟ قلت: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ قال: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شُحًّا مطاعًا، وهوى متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك ودع العوام؛ فإن من ورائكم أيامًا الصبرُ فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم»، قال ابن المبارك وزادني غير عتبة: قيل يا رسول الله: أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: «بل أجر خمسين منكم»[٣].

● وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انتهيت إلى النبي ﷺ وهو في قبة من أدم حمراء في نحو أربعين رجلاً. فقال: «إنه مفتوح لكم، وأنتم منصورون مصيبون، فمن أدرك ذلك منكم فليتق الله وليأمر بالمعروف، ولينه عن المنكر، وليصل رحمه، ومثل الذي يعين قومه على غير الحق كمثل البعير يتردَّى

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن سلمان وقبيصة وابن عباس، ورواه أبو نعيم في «الحلية» عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٠٣١).

(٢) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٠٩٤).

(٣) حسن: رواه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨) واللفظ له وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه (٤٠٠٥)، ومحمد بن نصر المروزي في «السنة» ص(٩) من حديث عتبة بن غزوان، والبغوي في «شرح السنة» (١٤/ ٣٤٨)، وقال محققه: للحديث شواهد يتقوّى بها.

فهو يمد بذنبه»[١] .

❑ وهذي بعض أحاديث أُخر نلحقها هنا:

● وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إياكم والجلوس على الطرقات**» فقالوا: مالنا بُدٌّ، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها، قال: «**فإذا أبيتم إلى المجالس فأعطوا الطريق حقها**». قالوا: ما حق الطريق؟ قال: «**غضُّ البصر، وكفُّ الأذى وردُّ السلام، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر**»[٢] .

● وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إن اللَّه لم يبعث نبيًّا ولا خليفة إلا وله بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وبطانة لا تألوه خبالاً، ومَن يُوق بطانة السوء فقد وُقيَ**»[٣] .

● وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما بعث اللَّه من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم اللَّه تعالى**»[٤] .

● وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قام خطيبًا فكان فيما قال: «**ألا لا يمنعن رجلاً هيبةُ الناس أن يقول بحق إذا علمه**»[٥] .

● وعن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة» قلنا:

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد في «المسند» (١/ ٣٨٩)، والترمذي (٢٢٥٧)، وقال: حسن صحيح والحاكم في «المستدرك» واللفظ له (٤/ ١٥٩)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقرّه الذهبي.

(٢) رواه البخاري (٢٤٦٥)، «الفتح» (٥/ ١١٢)، ومسلم (٢١٢١) (٣/ ١٦٧٥)، (١٧٠٤).

(٣) رواه مسلم (٢٠٣٨)، والترمذي واللفظ له (٢٣٦٩)، وقال: حسن صحيح غريب.

(٤) رواه البخاري حديث رقم (٧١٩٨).

(٥) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٤٠٠٧)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٣٢٣٧) وفي «الصحيحة» (١٦٨).

لمن؟ قال: «للَّه، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»[١].

● وعن جرير البجلي رضي الله عنه قال: «بايعت النبي ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»[٢].

● وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: بايعنا رسول اللَّه ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في اللَّه لومة لائم»[٣].

## * أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر:

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**أحب الجهاد إلى اللَّه كلمة حق تُقال لإمام جائر**»[٤].

● وقال ﷺ: «**أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر**»[٥].

---

(١) رواه مسلم (٥٥).

(٢) رواه البخاري (١, ١٤) واللفظ له، ومسلم (٥٦).

(٣) رواه البخاري (٧١٩٩، ٧٢٠٠)، ومسلم (١٧٠٩) (٣/ ١٤٧٠).

(٤) **حسن**: رواه أحمد، والطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٦٨).

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٣٤٤)، والترمذي (٢/ ٢٦)، وابن ماجه (٤٠١١)، وقال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه، والحاكم (٤/ ٥٠٥ ـ ٥٠٦)، والحميدي في «مسنده» (٧٥٢)، وأحمد (٣/ ١٩، ٦١) عن أبي سعيد الخدري. ورواه ابن ماجه (٤٠١٢)، وأحمد (٥/ ٢٥١، ٢٥٦)، والروياني في «مسنده» (٣٠/ ٢/ ٢١٥)، وابن عدي (٢/ ١١٢)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ١/ ٤٣٨) عن أبي أمامة.
ورواه النسائي (٢/ ١٨٧)، وأحمد (٤/ ٣١٥)، والبيهقي والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (ق ٢١/ ٢) عن طارق بن شهاب وصححه النووي والمنذري، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٤٩١). و«صحيح الجامع» رقم (١١٠٠).

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر»[١].

● وقال ﷺ: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاهُ، فقتله»[٢].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه في ذات اللَّه فقتله على ذلك»[٣].

* ضوابط في أمر الحكام بالمعروف ونهيهم عن المنكر:

هناك ضوابط في أمر الحكام بالمعروف ونهيهم عن المنكر:

أولاً: بالنسبة للحاكم المسلم:

(١) «لا يجوز بحال إنكار منكر الإمام المسلم بالسيف، وإنما يُكتفَى بإنكار منكره بالقلب، واللسان؛ وذلك أن الضرر الواقع على جمهور المسلمين من الخروج عليه أشد من انحراف الحاكم وظلمه؛ فإن السيف إذا وقع بين الأمة وقعت بسببه مفاسد كثيرة، فالإمام لا بد أن ينحاز له كثيرون معه وخاصة إذا كانت الشوكة بيده، كالسلاح والجيوش، وهؤلاء حتمًا سيتعصبون له، ومن ذا يستطيع أن يصل إلى الإمام دون أن يقع القتل في مسلمين كثيرين يتترس بهم الإمام؟»[٤]. هذا مذهب أهل السنة والجماعة

---

(١) صحيح: رواه الترمذي عن أبي سعيد، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٤٩١)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٢٠٩).

(٢) حسن: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٩٥)، وقال: صحيح الإسناد، والضياء عن جابر، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٦٧٥)، و«السلسلة الصحيحة» رقم (٣٧٤).

(٣) صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرك»، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) من كتاب «فصول من السياسة الشرعية في الدعوة إلى اللَّه» للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق ص(١١٧).

خلافًا للخوارج والمعتزلة الذين أوجبوا إنكار منكر الإمام بكل صورة من صور الإنكار: اليد واللسان، والقلب.

● عن عبد اللَّه بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**من كره من أميره شيئًا فليصبر؛ فإنه من خرج من السلطان شبرًا فمات مات ميتة جاهلية**»[1].

❑ قال في «الفتح» (١٣/ ٧): قال ابن بطال: «في الحديث حجة في ترك الخروج على السلطان ولو جار، وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان، والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن للدماء، وتسكين الدهماء».

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت الصادق المصدوق يقول: «**هَلَكَةُ أمتي على يد غلمة من قريش**»، فقال مروان: لعنة اللَّه عليهم غلمة، فقال أبو هريرة: لو شئت أن أقول بني فلان، بني فلان لفعلت»[2].

❑ قال في الفتح (١٣/ ١١): «وفي الحديث أيضًا حجة لما تقدم من ترك القيام على السلطان ولو جار؛ لأنه ﷺ أعلم أبا هريرة بأسماء هؤلاء، وأسماء آبائهم، ولم يأمرهم بالخروج عليهم مع إخباره بأن هلاك الأمة على أيديهم لكون الخروج أشد في الهلاك، وأقرب في الاستئصال من طاعتهم، فاختار أخف المفسدتين، وأيسر الأمرين».

● وفي حديث أم سلمة عند مسلم عن النبي ﷺ قال: «**إنه يُستعمل عليكم أمراء فتعرفون، وتُنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضى وتابع**» قالوا: يا رسول اللَّه أفلا نقاتلهم؟ قال ﷺ: «**لا، ما صلوا**».

---

(١) رواه البخاري (١٣/ ٥) برقم (٧٠٥٣).

(٢) رواه البخاري (١٣/ ٩) برقم (٧٠٥٨).

● وعند مسلم عن عوف بن مالك رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم، ويحبونكم ويُصلون عليكم، وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم، ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**»، قيل: يا رسول اللَّه أفلا ننابذهم بالسيوف؟ فقال: «**لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من وُلاتكم شيئًا تكرهونه، فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يدًا من طاعة**»[1].

وإقامة الصلاة بالنسبة إلى الحاكم تعني شهود صلاة الجماعة في المساجد، والدعوة إليها، وإقامة الحدود المتعلقة بها.

وحديث مسلم السابق نص ظاهر واضح في أن الإمام وإن استحق اللعن من المسلمين وكان بغيضًا إليهم، مبغضًا لهم، لا يجوز الخروج عليه بالسيف ما أقام الصلاة.

❑ وقال أهل السنة والجماعة، والسلف قاطبة: إنه لا يجوز الخروج على الإمام الذي ما زال يصلي إلا أن يكفُر كفرًا بواحًا، والبواح هو العلانية الشائع أي: يُعلن ذلك، ولا يكون مُسِرًّا به لأهل خاصته مثلاً.

واستندوا في ذلك إلى حديث جنادة بن أبي أمية، قال: دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض، فقلنا: حدثنا ـ أصلحك اللَّه ـ بحديث ينفع اللَّه به، سمعته من رسول اللَّه ﷺ فقال: دعانا رسول اللَّه ﷺ فبايعناه على السمع والطاعة في منشَطِنا ومكْرهنا، وعُسرنا ويُسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: «**إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من اللَّه فيه برهان**»[2].

وهذا نص ظاهر في عدم جواز منازعة الإمام الأمر إلا أن يعلن الكفر علانية، وقوله: «**عندكم من اللَّه فيه برهان**» أي: نص آية، أو خبر صحيح لا

(١) مسلم كتاب الإمارة ـ باب: خيار الأئمة وشرارهم.
(٢) رواه البخاري (١٣/ ٥) برقم (٧٠٥٦).

يحتمل التأويل، ومقتضاه: لا يجوز الخروج عليهم ما دام فعلهم يحتمل التأويل.

❑ قال أبو جعفر الطحاوي: «ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ إلا من وجب عليه السيف».

❑ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى أن طاعتهم من طاعة اللَّه ـ عز وجل ـ فريضة ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة»[١].

❑ قال النووي ـ رحمه اللَّه ـ «أجمع أهل السنة أن لا ينعزل السلطان بفسق، وسبب عدم انعزاله، وتحريم الخروج عليه، ما يترتب على ذلك من الفتن، وإراقة الدماء، وفساد ذات البين، فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه»[٢].

«وأما استدلال الخوارج والمعتزلة بقول عمر رضي الله عنه: «وإذا أسأت فقوّموني» فقال له رجل: «لو رأينا فيك اعوجاجًا لقوّمناك بسيوفنا». في وجوب الخروج على الإمام المسلم بالسيف إذا انحرف أو ظلم في نظرهم عما يعتقدونه، ففيه نظر، وذلك لأن عمر رضي الله عنه قال: «قوّموني» ولم يقل: «قوّموني بالسيف»، كما أن قول الرجل في رده على عمر رضي الله عنه تطاول منه على أمير المؤمنين، ولم يشأ عمر رضي الله عنه أن يردّ عليه، وهو في مقام الإمام، وفي خطبته الأولى حتى لا يُتّهم بالدفاع عن نفسه، وإلا فهذا الأمر أشبه بين السلف مما هو معلوم من الدين بالضرورة»[٣]. وهذا إن صحت الرواية.

---

(١) «شرح الطحاوية» ص(٤٢٨).

(٢) «صحيح مسلم» بشرح النووي (١٢/٢٢٩).

(٣) انظر إلى كتاب «فصول من السياسة الشرعية في الدعوة إلى اللَّه» للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ص(١١٦).

❑ وكذا لا يجوز إقامة المظاهرات والاعتصامات والإضرابات وأعمال الشغب وما شابهها والتي لم يجر عليها عمل السلف الصالح ويترتب عليها ضياع الأمن وإثارة الفتن.

«ولنعلم أن كلمة الحق أقوى من ظلم أي سلطان مهما كان، وصبر أهل الحق على حقهم وتعرضهم للأذى في سبيله، وانتظارهم لفرج اللَّه ورحمته عوامل رئيسية لانكسار الباطل، واندحاره مهما كان.

كما أن افتراض الشر دائمًا بالسلاطين من اتباع الظن، ومن الحكم على القلوب التي لا يطلع عليها إلا اللَّه تعالى، ونحن نعتقد أن القلوب بيد اللَّه يصرّفها كيف يشاء»[1].

(٢) على المأموم والمحكوم أن يطيع الحاكم المسلم في طاعة اللَّه، ويعصيه في معصية اللَّه؛ فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

● قال ﷺ: «**لا طاعة في معصية اللَّه، إنما الطاعة في المعروف**»[2].

## * نصح الحاكم المسلم سرًّا من غير تشهير مستحب:

ويستحب نصيحة الحاكم المسلم سرًّا من غير تشهير، ولا تعيير لحديث عياض بن غنم قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يُبده علانية، ولكنْ ليأخذ بيده، فيخلو به؛ فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدّى الذي عليه**»[3].

● وعن أبي وائل شقيق قال: قيل لأسامة بن زيد: ألا تدخل على

---

(١) المصدر السابق ص(١١٨).

(٢) «صحيح مسلم» كتاب الإمارة حديث رقم (١٢٢٥).

(٣) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ٤٠٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٩٦)، (١٠٩٧)، و(١٠٩٨) (٢/ ٥٢١)، والحاكم (٣/ ٢٩٠).

عثمان فتُكَلِّمه؟ فقال: أترون أني لا أكلمه إلاّ أُسمعكم؟ واللَّه لقد كلمته فيما بيني وبينه، ما دون أن أفتتح أمرًا لا أحب أن أكون أول من فتحه»، وفي لفظ للبخاري: «إنكم لترون أني لا أكلمه! إلا أُسمعكم؟! إني أكلمه في السر»[1].

❑ قال ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٥٧): فقال أسامة قد كلمته سرًّا دون أن أفتح بابًا، أي: باب الإنكار على الأئمة علانية خشية أن تفترق الكلمة. ثم عرّفهم أنه لا يداهن أحدًا ولو كان أميرًا بل ينصح له في السر جهده».

❑ وقال عياض: مراد أسامة أنه لا يفتح باب المجاهرة بالنكير على الإمام لما يخشى من عاقبة ذلك، بل يتلطف به وينصحه سرًّا، فذلك أجدر بالقبول.

❑ قال النووي: «وفيه الأدب مع الأمراء واللطف بهم ووعظهم سرًّا وتبليغهم ما يقوله الناس فيهم لينكفوا عنه»، «ويأخذوا حذرهم بلطف وحسن تأدية بحيث يبلغ المقصود من غير أذية للغير»[2].

● وأخرج أحمد بسنده عن سعيد بن جمهان قال: أتيت عبد اللَّه بن أبي أوفى وهو محجوب البصر فسلمت عليه، قلت: فإن السلطان يظلم الناس ويفعل بهم، قال: فتناول يدي فغمزها بيده غمزة شديدة، ثم قال: ويحك يا ابن جمهان عليك بالسواد الأعظم، عليك بالسواد الأعظم، إن كان

---

(١) رواه البخاري في كتاب «بدء الخلق» باب: صفة النار وأنها مخلوقة حديث رقم (٣٢٦٧)، «الفتح» (٦/ ٣٣١)، وفي كتاب «الفتن» باب الفتنة التي تموج كموج البحر «الفتح» (١٣/ ٥٢) رقم (٧٠٩٨)، ومسلم في كتاب «الزهد» باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويفعله حديث رقم (٥١) (٤/ ٢٢٩٠).

(٢) انظر «الفتح» (١٣/ ٥٧).

السلطان يسمع منك فأته في بيته فأخبره بما تعلم؛ فإن قبل منك وإلا فدعه فإنك لست بأعلم منه»[١] .

❑ وقد كان الإمام أحمد ـ رحمه اللَّه ـ لا يُحدّث بالأحاديث التي توهم بجواز الخروج على الأئمة.

❑ قال ابن القيم: «ومن دقيق الفطنة: أنك لا ترد على المطاع خطأه بين الملأ، فتحمله رُتبته على نُصرة الخطأ، وذلك خطأ ثانٍ، ولكن تلطف في إعلامه به بحيث لا يشعر به غيره»[٢] .

❑ وقال الإمام الشوكاني ـ رحمه اللَّه ـ: «ولكن ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل أن يناصحه، ولا يُظهر الشناعة عليه على رءوس الأشهاد، بل كما ورد في الحديث أنه يأخذ بيده، ويخلو به، ويبذل له النصيحة، ولا يذل سلطان اللَّه؛ وأنه لا يجوز الخروج على الأئمة ـ وإن بلغوا في الظلم أي مبلغ ـ ما أقاموا الصلاة، ولم يظهر منهم الكفر البواح»[٣] .

*** وقفة هامة جدًّا:**

❑ القول باستحباب نصح الإمام المسلم سرًّا لا يمنع من الإنكار عليه علانية على الصحيح إن احتمل المقام ذلك وكانت المصلحة تقتضيه؛ لا سيما إذا صدر المنكر منه علانية، فالأمر دائر مع المصلحة وهذا هو الوسط في هذه المسألة، كما أن في هذا القول جمعًا لأدلة هذا الباب والآثار الواردة فيه.

---

(١) حسن: رواه أحمد في «مسنده» (٤/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٥٢٣)، وحسّنه الألباني في «السنة».

(٢) «الطرق الحكيمة» لابن قيم الجوزية ص(٥٤)..

(٣) «السيل الجرار» للشوكاني (٤/ ٥٥٦).

❑ قال النووي عند كلامه على حديث أسامة بن زيد السابق: «وفيه الأدب مع الأمراء واللطف بهم ووعظهم سرًّا وتبليغهم ما يقوله الناس فيهم لينكفوا عنه.

وهذا كله إذا أمكن ذلك؛ فإن لم يمكن الوعظ سرًّا والإنكار فليفعله علانية لئلا يضيع أصل الحق»[1] اهـ.

فإذا احتجب الولاة عن رعيتهم، وحالت دونهم الستور والأبواب والحراس بحيث تكون عنقاء مغرب أقرب ملايين المرات للناس من هؤلاء الذين يصدق فيهم قول رسول اللَّه ﷺ: «**من ولى من أمور المسلمين شيئًا، فاحتجب دون خلّتهم وحاجتهم، وفقرهم وفاقتهم، احتجب اللَّه عنه يوم القيامة، دون خلّته، وحاجته، وفاقته وفقره**»[2].

إذا قامت السدود بين الراعي والرعية بحيث أن الوصول إلى الحاكم صار ضربًا من المحال، وصار المنكر عامًّا هل يظل النصح سرًّا؟!!!

إن المنكر إذا كان عامًّا فإن النهي عنه يكون عامًّا، ففتوى الإمام مالك المتعلقة بطلاق المكره كانت عامة كذا، وموقف الإمام أحمد من فتنة خلق القرآن كان جهادًا وعلانية، ومن قبله موقف الإمام سفيان الثوري، وإنكار سلطان العلماء العز بن عبد السلام على السلطان إسماعيل الذي استعان بالنصارى ضد سلطان مصر كانت عامة، وفي خطبة جمعة في المسجد الأموي بدمشق، ولقاء شيخ الإسلام ابن تيمية مع محمود قازان كان على مرأى ومسمع من وفد علماء دمشق الذين كانوا يرافقون ابن تيمية، وأمام

---

(١) النووي على مسلم (٩/ جزء ١٨/ ١١٨).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود وابن ماجه، والحاكم عن أبي هريرة، وصححه الحاكم، وقال: هذا إسناد شامي صحيح، ووافقه الذهبي، وقال الألباني: هو كما قالا، انظر «صحيح الجامع» (٩٤٧١)، و«السلسلة الصحيحة» رقم (٦٢٩).

كبار قادة جيش قازان، ثم طارت أخبار هذا اللقاء فسمع بها الخواقين والأمراء الذين أحاطوا بهذا العالم الجليل عند عودته إلى دمشق يتبرّكون به، ويسألونه الدعاء لهم، ورسائل الإمام النووي التي كان يرسلها إلى سلاطين عصره كانت عامة؛ لأن عددًا من كبار العلماء الذين كانوا يوقّعون عليها من جهة، ومن جهة أخرى فقد كانت هذه الرسائل تتعلق بقضايا عموم الناس، وسنفصل بعد قليل سير العلماء الربانيين وجهرهم وصدعهم بالحق أمام الأمراء والسلاطين.

وأما الولاة الذين لا يحكمون بالشرع ويحاربون الإسلام وأهله؛ فإن لكل حالة لبوسًا ولكن ترك الخروج المسلح حتى لا تراق دماء المسلمين الأبرياء فيه الخير كل الخير، والصبر على الأذى هو طريق النبيين والمرسلين ويكفي قول النبي ﷺ لخباب وقد لاقى ما لاقى هو والصحابة: «**ولكنكم تستعجلون**» فلينظر إلى فتاوى العلماء الربانيين الصادقين ولا يندفع الناس بعواطفهم إلى تيه مظلم وفتن تعجز عن حملها الجبال، وكم مدينة فُتِحت بالسيف والسنان، وكم من مدينة فُتحت بالعلم والقرآن الرواس.

❑ قال الشيخ رشيد رضا: «ومن المسائل المجمع عليها قولاً واعتقادًا أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.. وأن إباحة المجمع على تحريمه: كالزنا والسكر واستباحة إبطال الحدود وشرع ما لم يأذن به اللَّه كفر وردة»[1].

❑ وما يقول العلماء فيمن سن القوانين التي تجعل البنوك الربوية لا يكاد يخلو منها حي أو قرية، وفي هذه المؤسسات التشريعية والقضائية التي لا يُسمح فيها لمن يشاء من القضاة أن يساوي بين شريعة اللَّه، والشريعة التي سنّها زعيم الدولة فضلاً عن تفضيله لشريعة اللَّه، وهذه المصانع والمحلات التي تبيع الخمور، ليست المشكلة هنا فيمن يرابي أو يشرب الخمر أو يشاهد

(١) «تفسير المنار» لمحمد رشيد رضا (٦/٣٧٦).

مناظر العرايا من النساء والرجال؛ ولكن المشكلة فيمن سن القوانين التي تبيح هذه المنكرات.

لقد كثر النفاق والتزلف من قبل أناس يتسربلون بسربال العلم والمعرفة، ويتدثرون بدثار التقوى والورع:

- فمنهم من أباح المعاملات الربوية، وشن حملات ظالمة ضد البنوك الإسلامية.

- ومنهم من زعم أن أحكام الشريعة الإسلامية مطبقة في مصر؛ لأن القانون المدني مستمد من أحكام الشريعة، وهو أول من يعلم بأنه يكذب في هذا الادعاء.

- ومنهم من زعم أن أهل الجنة يعيشون حالة من الفرح ليس لها مثيل من قبل؛ لأنهم يستعدون لاستقبال أحد أبناء الطغاة الذي أهلكه اللَّه سبحانه وتعالى، والولد سرّ أبيه.

- ومنهم من سمعته أذناي، كما سمعه مئلي مئات المصلّين الذين كانوا يصغون إليه وهو يخطب الجمعة، وينسب إلى رسول اللَّه ﷺ في حديث حبكه قوله: «ثم يأتي جمال الدين فينتصر كما انتصر صلاح الدين» يريد من وراء هذا الكذب على رسول اللَّه ﷺ والتزلف إلى نظام جمال عبد الناصر إبان حكمه وطغيانه»[1].

وإن تعجب فاعجب للشيخ الباقوري الذي كان يُحلِّق في غير سربه، ينضم إلى الجوقة التي صفّقت لأنور، وقال في كلمته التي ألقاها في مؤتمر نظّمته الحكومة لتأييد أنور والتنديد بمعارضيه، وكان مما قال فيه: «إن السلطان هو ظل اللَّه في الأرض.. وظل اللَّه في الأرض له حرمة ومهابة؛ فلا يجوز

(١) «العلماء وأمانة الكلمة» لمحمد سرور بن نايف ص(١٧) دار الجابية ودار الأرقم.

المساس بالسلطان أو الإساءة إليه بكلمة حتى أن الفقهاء قالوا: إذا كان السلطان يركب بغلة، وذيل بغلة السلطان مقطوع، فلا يجوز التهكم على ذيل بغلة السلطان.. فكيف بالتهكم على السلطان»[١].

وهذا الدفاع عن السلطان وذيل بغلته جاء بعد زيارة السادات لإسرائيل وتوقيع معاهدة الذل والعار، وكان من المنتظر أن يقول الشيخ في هذه المناسبة كلمة يتقرّب بها من ربه، ولا سيما أنه قد بلغ من الكبر عتيًّا.

* قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

❑ قال الطبري: «وهذه الآية وإن كانت نزلت في خاصّ من الناس؛ فإنها معنيٌّ بها كل كاتم علمًا فرض اللَّه بيانه للناس، وذلك نظير الخبر الذي روي عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**من سُئِل عن علم فكتمه، أُلجِم يوم القيامة بلجام من نار**»[٢].

❑ قال الشيخ رشيد رضا: «إن العبرة في الآية هي أن حكمها عام، وإن كان سببها خاصًّا، فكل من يكتم آيات اللَّه وهدايته عن الناس فهو مستحق لهذه اللعنة، ولما كان هذا الوعيد وأشباهه حجة على الذين لبسوا لباس الدين من المسلمين وانتحلوا الرئاسة لأنفسهم بعلمهم، حاولوا التقصّي منه، فقال بعضهم: إن الكتمان لا يتحقق إلا إذا سئل العالم عن حكم اللَّه تعالى فكتمه، وأخذوا من هذا التأويل قاعدة هي أن العلماء لا يجب عليهم نشر ما

---

(٢) مجلة المجتمع العدد (٤٧٦) تاريخ ٩/ ٥/ ١٤٠٠هـ عن الصحف المصرية الصادرة في هذا التاريخ.

(١) «تفسير الطبري» (٣/ ٢٥٢) دار المعارف قال الشيخ أحمد شاكر: هذا حديث صحيح رواه أحمد في المسند من حديث أبي هريرة، وخرّجناه في شرح المسند، وفي صحيح ابن حبان.

أنزل اللَّه تعالى ودعوة الناس إليه وبيانه لهم؛ وإنما يجب على العالم أن يجيب إذا سُئِل عما يعلمه، وزاد بعضهم: إذا لم يكن هناك عالم غيره وإلاّ كان له أن يحيل على غيره.

وهذه القاعدة مسلمة عند أكثر المنتسبين إلى العلم اليوم وقبل اليوم بقرون، وقد ردّها أهل العلم الصحيح، فقالوا: إن القرآن الكريم لم يكتف بالوعيد على الكتمان، بل أمر ببيان هذا للناس، وبالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأوعد من يترك هذه الفريضة، وذكر لهم العبر فيما حكاه عن الذين قصّروا فيها من قبل، ثم قال: «ما ورد عن تدافع علماء السلف في الفتوى فإنما هو في الوقائع العملية الاجتهادية، التي تعرض للناس، لا في الدعوة إلى مقاصد الدين الثابتة بالنصوص وسياجها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[1].

إن هؤلاء كتموا ما أوجب اللَّه عليهم بيانه والصدع به، وسكتوا عن بيان قواعد الدين وإسقاطها على الواقع خوفًا من السلطان، واللَّه جل وعلا أحق بالخوف والخشية من أعتى سلاطين الأرض وهذه واللَّه هي الفتنة؟!!

كان العلماء الربانيون يقولون والخطر محدق بهم من كل جانب: «إذا أجاب العالم تُقية والجاهل يجهل متى يتبيّن الحق؟» وهذا يعني أن بعضهم كان يفضّل الموت على التقية.

كانوا يعتقدون وجوب إيضاح الأحكام عند الحاجة إليها عملاً بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ ويؤمنون بحرمة السكوت عن بيان الأحكام، فكيف إذا كان الأمر يتعلق بليّ أعناق النصوص أو تحريف الكلم عن مواضعه كما يفعل البعض في أيامنا هذه.

ولقد كانوا ينأون بأنفسهم عن مجالسة السلاطين والتزلف لهم وقبول

(١) «تفسير المنار» (٢/ ٥١).

وظائفهم وأعطياتهم.

● عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من بدا جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلطان افتتن، وما ازداد عبد من السلطان قربًا إلا ازداد من اللَّه بعدًا»[1].

❑ ورحم اللَّه الإمام سفيان الثوري الذي قال: «ما أخاف من إهانتهم لي، إنما أخاف من إكرامهم فيميل قلبي إليهم»[2].

ولما احتج قوم على أبي حامد الغزالي ـ لما أفتى بعدم جواز أخذ أعطيات الظالمين ـ وقالوا: إن بعض الصحابة والتابعين كانوا يأخذون أُعطيات وجوائز الظالمين فقال ـ رحمه اللَّه ـ : «إن الظلمة في العصر الأول لقرب عهدهم بزمان الخلفاء والراشدين كانوا مستشعرين من ظلمهم، ومتشوّقين إلى استمالة قلوب الصحابة والتابعين وحريصين على قبول عطاياهم وجوائزهم، وكانوا يبعثون إليهم من غير سؤال وإذلال، بل كانوا يتقلدون المنة بقبولهم ويفرحون به، وكانوا يأخذون منهم ويفرّقون ولا يطيعون السلاطين في أغراضهم ولا يغشون مجالسهم ولا يُكثّرون جمعهم ولا يحبون بقاءهم بل يدعون عليهم ويطلقون اللسان فيهم وينكرون المنكرات منهم عليهم فما كان يحذر أن يصيبوا من دينهم بقدر ما أصابوا من دنياهم، ولم يكن يأخذهم بأس؛ فأما الآن فلا تسمح نفوس السلاطين بعطية إلا لمن طمعوا في استخدامهم والتكثر بهم والاستعانة بهم على أغراضهم والتجمّل بغشيان مجالسهم وتكليفهم المواظبة على الدعاء والثناء والتزكية، والإطراء في حضورهم ومغيبهم، فلو لم يذل الآخذ نفسه بالسؤال أولاً، وبالتردد بالخدمة

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٧١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣/ ٢٦٧) رقم (١٢٧٢).

(٢) «تلبيس إبليس» لابن الجوزي ص(١٢٢) ـ دار الفكر.

ثانيًا، وبالثناء والدعاء ثالثًا، وبالمساعدة له على أغراضه عند الاستعانة رابعًا، وبتكثير جمعه في مجلسه وموكبه خامسًا، وبإظهار الحب والموالاة والمناصرة على أعدائه سادسًا، وبالستر على ظلمه ومقابحه ومساوئ أعماله سابعًا، لم يُنعم عليه بدرهم واحد ولو كان في فضل الشافعي ـ رحمه اللَّه ـ مثلاً؛ فإذًا لا يجوز أن يُؤخذ منهم في هذا الزمان ما يعلم أنه حلال لإفضائه إلى هذه المعاني، فكيف ما يعلم أنه حرام أو يشك فيه؟ فمن استجرأ على أموالهم وشبّه نفسه بالصحابة والتابعين فقد قاس الملائكة بالحدادين»[1].

● «إن غشيان العلماء لمجالس الأئمة العدول بقصد تذكيرهم بالقيامة والمعاد، وتحذيرهم من الركون إلى الدنيا وتبليغهم بمظالم الرعية التي لم تبلغهم واجب شرعي لقوله ﷺ: «**الدين النصيحة**»، قلنا: لمن؟ قال: «**للَّه ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[2].

بل هو النصح وهو أصل عظيم من أصول الإسلام، قال جرير بن عبداللَّه: «بايعت النبي ﷺ على النصح لكل مسلم»[3].

● عن كعب بن عجرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**سيكون بعدي أمراء، فمن دخل عليهم فصدّقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، وليس بوارد عليَّ الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يُصدِّقهم بكذبهم، فهو مني، وأنا منه وهو وارد عليّ الحوض**»[4].

❑ قال أبو سليمان الخطابي: «ليت شعري من الذي يدخل إليهم اليوم

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٢/ ١٣٩).

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان.

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان.

(٤) **صحيح الإسناد**: رواه أحمد عن ابن عمر، والترمذي، وقال أحمد شاكر: صحيح الإسناد، «المسند» (٨/ ٦٢).

فلا يصدقهم على كذبهم، ومن الذي يتكلم بالعدل إذا شهد مجالسهم، ومن الذي ينصح ومن الذي ينتصح منهم؟ إن أسلم لك يا أخي في هذا الزمان وأحوط لدينك أن تقلّ عن مخالطتهم وغشيان أبوابهم»[٥] .

❑ ولله در القائل عن صون العلماء الربانيين لأنفسهم عن الركون إلى الظالمين أو التزلف لهم وإهانة العلم الذي يحملونه وهو ميراث الأنبياء:

يقولون لي فيك انقباضٌ وإنما ... رأوا رجُلاً عن موقف الذلِّ أحجما
أرى الناسَ من داناهُمُ هان عندهُمْ ... ومَن أكرمَتْـــهُ عزّةُ النفس أُكرِما
وما كلُّ بَرْقٍ لاح لي يستفزُّني ... ولا كلُّ من لاقيتُ أرضــاهُ مُنعما
وإني إذا ما فاتني الأمرُ لم أبتْ ... أُقلّب كَفّي إثْـــرهُ مُتَنــدِّمــا
ولم أقضِ حقَّ العلمِ إن كان كُلّما ... بَدا طمعٌ صيّرتُـــه لي سُـلَّما
إذا قيل هذا مَنْهَلٌ قلتُ قد أرى ... ولكنّ نفس الحــرِّ تحتملُ الظَّــمَا
ولم أبتذل في خدمةِ العلم مُهجتي ... لأخـــدُمَ منْ لاقيتُ لكنْ لأُخدما
أأشقى به غَرْسًا وأجنيه ذِلّةً ... إذًا فاتباع الجهــلِ قد كان أحزما
ولو أنَّ أهــلَ العلمِ صانوه صانهمْ ... ولو عظّموه في النفوس لعُظِّما
ولكنْ أهــانــوه فهــان ودنّســوا ... مُحَيّــاه بالأطمــاع حتى تجهّما[١]

* * *

(١) «العزلة والخلطة».

(٢) للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرحاني ـ طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٤٦٠).